

(١)

منزلة الشهيد

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، **ويعبد :**

ففي هذه الأيام المباركة تحتفل مصرنا الغالية بذكرى من أعظم الذكريات ، هي ذكرى انتصار أكتوبر المجيدة ، وفيها لا بد أن نذكر شهداء مصر الأبرار الذين خاضوا معارك العزة والكرامة ، وبذلوا أرواحهم دفاعاً عن أرضهم ، وعرضهم ، ووطنهم ، وسطروا أسمى معاني البطولة والفداء والتضحية بكل ما يملكون ، فنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة .

إن حب الإنسان لوطنه وشعوره بالانتماء إليه أمر فطري ، وعاطفة إنسانية لا يدرکها إلا أصحاب العقول السليمة والقلوب النقية ، فالوطن أغلى ما يملكه الإنسان بعد الإيمان بالله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ثم يجب المحافظة عليه والدفاع عنه ، والتضحية بالنفس والنفيس من أجله ، وأن يترجم هذا كله إلى سلوك عملي وواقع ملموس يحقق الأمن والاستقرار والتقدم ، فقد جعل الإسلام حراسة الأوطان والدفاع عنها والتضحية من أجلها من أفضل الأعمال عند الله تعالى ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

ولا مرأ أن مقام الشهادة من أعلى المقامات عند الله تعالى ، فهي اصطفاء واجتباء من الله (عز وجل) ، قال تعالى : {وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} ، فله در

(٢)

الشهداء، تركوا لذيدَ الفراش ورغد العيش وضحّوا بأنفسهم في سبيل الله (عز وجل) يطلبون الشهادة طمعاً فيما عند الله من ثواب وأجر ، فخصّهم الله (عز وجل) بفضائل عظيمة ، ومنازل عالية ، وكرامات فريدة ، منها:

*** أن الشهداء أرفع الناس درجة بعد النبيين والصدّيقين ، فقد جمع الله تعالى بين النبوة والشهادة في قوله تعالى: { وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا }؛** ليؤكد على فضل الشهادة ، ومكانة الشهداء عند الله (عز وجل) ولم لا؟ وقد استعلى الشهيد على شهواته، وانتصر على رغباته، واسترخص الحياة في نيل شرف الشهادة في سبيل الله، فاستحق أن يكون في صحبة النبيين والصدّيقين.

*** ومنها : إكرام الله (عز وجل) للشهداء بمنح عظيمة ،** أخبر عنها (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَيْهِ رَأْسُهُ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ) ، ودماء الشهداء ريحها كريح المسك تتناول لها الأعناق ، وتنحني لها الهامات إجلالاً واحتراماً، قال (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ).

*** ومنها: أن صفتهم مع الله تعالى رابحة ، وتجارتهم لن تبور ، فهم الذين تاجروا مع الله بأنفسهم وأموالهم ، فوعدهم الله جنة عرضها السموات والأرض ، وأنعم بها من صفقة ، المشتري فيها رب العزة (جل جلاله) ، والبائع فيها الشهيد ، والسلعة**

أرواحهم ودمائهم، والتمن الجنة ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ}، وقد أكدَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على هذا المعنى في غزوة بدر قائلاً لأصحابه : (قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)، فقال عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟، قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: بَخٍ بَخٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟)، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)، فَأَخْرَجَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ: " لَيْنُ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى آكُلَ مِنْ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ).

وإذا كانت الجنة درجات ومنازل ، فإن الشهداء في أعلى درجاتها ومنازلها ، فهم في الفردوس الأعلى ، فقد أتت أمُّ حَارِثَةَ بِنُ سُرَاقَةَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ - أَي لَا يَعْرِفُ لَهُ رَامٍ - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى) ، إنها ليست جنة واحدة ، وإنما هي جنان الخلد التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

*** ومنها: أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، حياة ليست كحياتنا ، حياة تفوق إدراك البشر ، وهم أيضاً في ذاكرة الأمة أحياء لا تُنسى ذكراهم بمرور الأزمنة والدهور، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}، وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**

(٤)

فَقَالَ لِي: (يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا)؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَوَدِيئًا، قَالَ: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ)؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِنْفًا) - أي: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول - فَقَالَ: (يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ)، قَالَ: يَا رَبُّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ تَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ (عَزَّ وَجَلَّ): (إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ) قَالَ: وَأُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ}، يستبشر الشهداء بإخوانهم القادمين إليهم، رغبة في إنزالهم هذه المنزلة التي أنزلهم الله إياها فلا حزن ولا غم ولا هم، قال تعالى: {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}.

* ومنها: أن أرواحهم في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح

في الجنة كيف شاءت، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَيَّ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كَلِمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا أَنَا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِنَلَّا يَرْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ}.

* ومنها: أنهم أصحاب الأجر الوفير. والنور التام، قال تعالى: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ

رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}؛ لذا كان حرص النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على الشهادة في سبيل الله (عز وجل) لينال هذه الدرجة، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

(٥)

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ) ؛ لعظيم ما أعدّه الله (عز وجل) للشهيد في الجنة ، وشوقاً وحنيناً إلى لقاء الله (عز وجل) والفوز بالجنة.

إنه الشوق والحنين الذي جعل الصحابة (رضي الله عنهم) يتنافسون في طلب الشهادة ، لدرجة جعلت الوالد والولد يتنافسان على نيل هذا الشرف العظيم ، فعندما خَرَجَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى بَدْرٍ أَرَادَ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَأَبُوهُ الْخُرُوجَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ أَحَدُهُمَا ، فَاسْتَهَمَا ، فَقَالَ خَيْثَمَةُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِهِ سَعْدٍ: إِنَّهُ لَا بُدَّ لِأَحَدِنَا مِنْ أَنْ يُقِيمَ فَأَقِمَ مَعَ نِسَائِكَ ، فَقَالَ سَعْدٌ: لَوْ كَانَ غَيْرُ الْجَنَّةِ لَأَتَرْتُكَ بِهِ إِيَّيْ أَرْجُو الشَّهَادَةَ فِي وَجْهِي هَذَا ، فَاسْتَهَمَا فَخَرَجَ سَهْمُ سَعْدٍ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ .

وهو الشوق الذي يجعل الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال الشهادة في سبيل الله عدة مرات ، يقول: (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ الشَّهِيدِ ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ).

وهو نفس الشوق والحنين إلى الجنة الذي جعل عمرو بن الجموح (رضي الله عنه) مع إصابته بالعرج يطلب الشهادة في سبيل الله (عز وجل) ، فقد جاء يَوْمَ أُحُدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ: يَا عَمْرُو لَا تَأَلَّ عَلَى اللَّهِ ، فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَهَلًا يَا عَمْرُو فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ يَخُوضُ فِي الْجَنَّةِ بِعَرَجَتِهِ).

(٦)

لأجل ذلك أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد لا ينقطع عمله الصالح ، بل يزيد ويتضاعف ويأمن من فتنة القبر ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.
إخوة الإسلام:

هذه المنزلة التي أعدّها الله (عز وجل) للشهداء ، وهذا الفضل هو للشهيد الحق ، فهناك شهيد الحق ، وقتيل الباطل ، فالشهيد الحق هو من عرف الحق ، وأخلص له وضحي من أجله ، وبذل روحه في سبيله ، والذي قال في حقه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، الشهيد الحق هو من يأبى الدنيا ويرفض المذلة والهوان ، ويقاوم من يحاول أن يستولي على ماله أو متاعه، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخَذَ مَالِي؟ قَالَ: (فَلَا تُعْطِهِ مَالِكَ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: (قَاتِلْهُ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: (هُوَ فِي النَّارِ).

كذلك الشهيد الحق هو من مات دفاعاً عن أرضه وعرضه ووطنه ، فليس الوطن والعرض أقل خطراً ومكانة من النفس والدين والمال ، فقد قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ).

(٧)

أما قتيل الباطل: فهو الذي يسفك دماء الأبرياء بغير حق ، ويزعزع استقرار الوطن، ويسعى في الأرض فساداً، ويروع الآمنين بعمليات انتحارية ، وتفجيرات إرهابية لا يقرها دين ، ولا يقبلها عقل ، ويحسب أنه يحسن صنعا ، وهذا لا يُعد شهيداً ، بل يصدق فيه قول الله تعالى: { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا } .

ونحن إذ نحیی ذكری نصر أكتوبر المجید فإنما نذكر أنفسنا جميعاً بهؤلاء الذين ارتقت أرواحهم إلى الله (عز وجل) وفازوا برضوانه ، فأحيوا في شعب مصر روح الكرامة والمروعة والعزة ، واستطاعوا أن يحفظوا لمصر مكانتها وهيبتها بين الأمم ، ونستنهض همماً ربما تناقلت إلى الأرض، ورضيت بالحياة الدنيا من الآخرة ، ونغبط أقواماً على ما أكرمهم الله به من نعيم أيقنوا بصدق وعد الله لهم به فنالوه، وتُرجى أنفسنا بشهادة في سبيله، وبجزاء كريم أكرمهم الله به، ولم لا؟ وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)، وما زال حماة الوطن وحراسه الشرفاء يبذلون أنفسهم في سبيله لمواجهة الإرهاب الأسود الغاشم، والجماعات التكفيرية الضالة المضلة.

اللهم أمننا في أوطاننا وأدم نعمتنا الأمن والاستقرار في بلادنا .